شـــــلال وادي بنـــــا.. قصيدة خضراء

حامد الفقيه

خط قصته على وجه الدهر لتنبض حوله الحياة فمع أهازيج عصافير البكور ، تشرق شمس ناعسة على قطرات الندى فيلوح للرائي صفحة البساط الأخضر كلوحة من الجنة سنابل القمح تتهامس مع حفيف الرياح الخجولة .وشدو العصافير الجذلاء تتداخل مع موسيقى الرعاء وقطعان الماشية حال الغروب ... لتصدح فتيات الحقول حال الشروق بلغة ((العلان)) ومواويلها ..

عزف جوقته الموسيقية بصوت الخرير ليجعل الحياة من حوله تنبض .. ليتغطى غبار الأرض تحت غطاء العشب الأخضر .. وتكتسي السفوح بفائض الحلل في خضرة الأخاديد الجبلية الضيقة يسكن المنبع وفي الأفق تقترب زرقة السماء من الجبال المتناهية في العلو ..هنا الجمال والخضرة توشح كل شيء في رقة ووداعة .. أنتم في حضرة شلال وادي بنا ..

صاده في السهل .. وأكله في الجبل :

على وجة البكور كنا مع عناق ظلال السحاب نتبادل القبلات عبر قطراتها العذراء في حين الصباح الباكر .. من دمت انطلقنا أنا وزميلي في الجامعة أسامة الحسني الفلسطيني الجنسية ((أرواحنا تسابق عجلات سيارتنا لأن أرواحنا كانت تطفو على موجات نسيم البكور جهة الغرب كانت وجهتنا فمن مخلاف العود مررنا وهو يروي عبر صخوره القاسية سيرة ((العود بن سالم)) رجل البأس والصمود وكلما ارتطمت عجلة السيارة بالصخور على الطريق الترابي قلنا فعلاً صدقت (ياعود) وعلى عباب أمواجه في مديرية النادرة دخلنا على مخلاف عمار القابع أهله على قمم سلسلة جبال عمار وتذكرنا المثل القائل (كالغراب لا يأكل صيده إلا على رأس الحيد)وهو ينطبق على سكان المخلاف حينما يأخذون وجباتهم من قاع المدن فيركبون ويعانون عناء الرجوع إلى رأس الحيد ليأكلون طعامهم ليس الخوف يا صديقي ولكنهم يقتربون من فوج الهناء الملكوتي في السماء الدنيا وهاهي مديرية السدة تفتح ذراعيها كعذراء ريفية تعيش روح المدينة وعلى وجهها نموش سوداء تزينه فمن بيت الرداعي والساقية الجارية طوال العام إلى المسقاة و(ذو الريد) الذي يعود تسميتها نسبة إلى التبع الحميري (ذو ريدان) .

أغنية الزمان وعذوبة اللحن :

وعلى بعد كيلو متر تركنا سيارتنا على جانب الطريق الإسفلتي وعرضنا مشيا على الأقدام حتى واجهنا لوحة طبيعية بيوت مغروسة وسط واحة خضراء كانت قرية (بيت الفائق) المطلة على الشلال ثلاثة من الأطفال كانوا دليلنا اتجهنا نحو الأسفل وكلنا شوق لرؤية صاحب العود والقيثارة الصادحة بأعذب الألحان فكنا ونحن على مقربة من الشلال نسمع صوتا ولا نرى صاحب الصوت لكثافة الشجر المتجمهرة حوله على صورة المياه تجلى لي صوت الشاعر مطهر الإرياني وعذوبة التراث على عود الآنسي وهما يطمئنانا : خطر غصن القنا وارد على الماء نزل وادي بنا ومر جنبي وباجفانه رنا نحوى وصوب سهامه واعتنى وصاب قلبي أنا يابوي أنا

أمان يا نازل الوادي أمان

كانت مياه الشلال تتناثر من علو شاهق ومن وسط خضرة الشجيرات التي نمت على الصخور كان الوقت لازال باكراً ومع ذاك وجدنا أكثر من زائر وعائلة يفترشون البساط الأخضر ويطربون لموسيقى الشلال ويلتهمون ما كان على سفرة الطعام...

وللصائم غمسة الري :

ليست مياه التبرك الهندوسية ذات الطابع الوثني البوذية ولا مياه الأكراد ذات الروح المقدسة . إنها مياه الخير فللصائم المستغرق في العطش أن يترك ثيابه تتخلى عنه ويتقدم نحو الشلال ليطفئ لهيب المسامات المحترقة ليروي الجسد بطريقته الخاصة . كما فعلنا نحن ألقينا أنفسنا وإذا بأسناننا تصطك مرتعشة لبرودة الماء وبطيش شبابي مرح فتحنا علبتين من مشروب شارك وكأننا أمام عدسة إعلان تجاري .وعلى الصخرة المتعرضة للشمس تقرفصنا حول جسدنا لنكتسب دفئاً ورياً للعطش في نفس اللحظة.

حكاية السفر وموسيقى الوصول :

ومع انخفاضك نحو الشلال تجد صوته يتعالى وهديره يشتد تفتح شغاف حواسك وتنصت مسمعا وهو يروي قصة وصوله كيف يبعث الحياة حيثما حل ويرسم البسمة على شفاه المزارعين والرعاة والزائرين .كل قطرة تروي قصة وهى تشكل مع ضوء الشمس (قوس قزح) تعانقه الفراشات لتلبسه ألوانا بهية ففي أيام الصيف تكون الفرجة والاستجمام هي الغالبة لشدة هيجان الشلال وصعوبة الرؤية بين قطرات الماء.

على ضفتي الشلال حلل الجنة تلبسها الأراضي مخضرة فالمزارع يعني له رمز الخير لأنه يسقى مزروعاته فعلى ضفاف الوادي يزرع الذرة الشامية والرفيعة والبر والشعير وبعض الخضار كالطماطم والبطاط والكوسة والخيار. فابتداء من المنبع في السدة إلى ضفاف ينابع العود الى مدينة دمت حتى يصب في دلتا أبين وهناك يصب الشلال في البحر العربي فعلى ضفافه تزخر الحياة بالزراعة والمنتوجات وما دلتا أبين إلا خير شاهد ومواويل العلان بأصوات الأنوثة العاملة كالنحلة إلى (مهاجل) الجباه السمراء المتعرقة وكلها براهين الحياة والنشاط التي يبتدعها الشلال فهو زارع للحياة حيثما خطت قطراته طريقها وإذا كانت سنة جدب وقحط ترى الكلاح يكسر وجه الأراضي الزراعية وموت الخضرة دليل على انكسار قلب الفلاح على ثمرته لتلكم العام

وحي الساقية وضجيج المضخة :

كانت على ضفاف الشلال مرسومة كحواجب الحسناء تقبع على شاطئ العينين ولها حكاية وألف حكاية واناً أغمس يدي فيها وأتلمس ضفتيها أتذكر (الحول والساقية) وقد كانت الساقية تجود بدموعها لتروي الأرض الخصيبة وما تزال روحي إلى اليوم تهيم وتبكي على وحي الساقية المستكين والمتحرك برقة ووداعة لا يكلف المزارع سوى أن يحجز بالطين فتحة الساقية لتتجه نحو حوله وأرضه أما الآن فقد تغير الحال ففي مطلع الثمانينيات اتجه المزارعون نحو ضجيج الآلة وصوت المضخة وهى ترفع الماء إلى الأحوال ولا يساوي ما ترفع المضخة ثمن ما تجود به الساقية المتدفقة حنينا وألما لهجران أبنائها لها فهجر الناس السواقي التي كانت تغذي الأحوال فتضامن السيل مع السواقي التي كانت تعذي الاحوال ونزف دموعه باكيا حتى تجده أحيانا ناضب القطرات فلجأ الناس إلى الآبار المحفورة وبدأت طريق الشقاء.

رواية النملة وقيام الساعة :

كانت جدتي تحكي لنا أساطيرها حتى ننام في حضنها فذات مساء روت لنا جدتي إحدى أمارات الساعة حسب زعمها وهى ((انه إذا تخطت النملة وادي بنا وعبرته من الضفة إلى الأخرى فإن الساعة قد حان موعد قيامها)) فجاء بنا العمر إلى أن رأينا النملة تعبر الشلال من ضفته الأولى إلى الأخرى ولم نر الساعة تقوم وفي فصل الخير وأيام المطر ترى ضفاف وادي بنا تعمها مياه الشلال وذلك حينما يهيج الوادي وينزل السيل هائجاً مائجاً لترى عظمة الله في شانه وغالباً ما ينزل السيل في الليل فتنام على صوت الخرير المتعالي فيغدو الصباح مشرقاً وقد سقى ضفافه بماء وطين لتنمو زراعة ذلك العام بشكل يفرح قلوب الزراع .

الطفولة المشاغبة وروح التحدي :

لا زلت اذكر وأشاهد اليوم والسيل يمسك بضفافه هائجاً فيزرع في قلوبنا روح التحدي فنجتمع الأطفال بين عمر العاشرة والخامسة عشرة ونتقاطع الشلال فيأخذ كل منا مسافة نصف كيلو ولا نخرج إلا بعد أن يجرعنا مياهه الطينية واليوم لازالت دوام الغسل عند الرجال والأطفال فقبل وقت الظهيرة تجد الأماكن العميقة يتجمع فيها الرجال والأطفال ليذهبون من أجسادهم حر الظهيرة.

وكانت أرواحنا المشاغبة وبحكم أن قريتي على ضفاف وادي بنا القريب من مدينة دمت كنا نعلم عن قدوم السيل عبر نداء قرية تعلونا حينما يصل إليها السيل يصرخون إلينا بأصواتهم قائلين ((جاك سيلاه يا وليد جاك سيلاه بالروبد)) وهذا النداء دليل على غزارة السيل المتدفق وكذا نفعل نحن للقرية التي تلينا حتى يتلاشى المزارع والأطفال والرعاة ويبتعدون عن ضفاف الوادي.

وفي الأعوام الأخيرة مع سنين الجدب والقحط المتوالية سمعت قطرات وادي بنا وهى تتوارى مختفية في قعر الوادي مستغيثة حيث أن الناس أصبحوا يتركون الزراعة لندرة الماء ومن حفر بئر ارتوازي أوشك البئر كذلك أن يجف مع انه في أيام الصيف والخير تجد الشلال يتدفق بغزارة ويذهب إلى البحر العربي دونما فائدة للزراعة . وفي مثل هذا الوضع أتمنى من أبناء وادي بنا من منابعه إلى مدار به ومساقطه حتى دلتا أبين إن يثيروا مثل هذا المشكلة بهدف البحث عن حلول ومعالجات برغم ان التكوينات الجبلية في المنطقة وفي مضايق الوادي كفيلة بان تحقق الفائدة بإنشاء حواجز مائية متعددة وسدود مصغرة أما الحل الناجح فيكمن في إنشاء سد على أساس استراتيجي ليوجد ثروة نهرية وطاقة كهربائية على غرار السد العالي في مصر وسد الفرات في سوريا بنسبة قريبة من قدرتهما.

المقالح ووحي القلم :

من على ضفاف هذا الوادي ترعرع الأبطال وخرجوا فمن الشهيد علي عبدالمغني إلى أستاذ الأدب العربي الدكتور / عبدالعزيز المقالح وغيرهم وكلهم استشفوا عبير الحرية والأدب على ضفاف وادي بنا المتدفق حرية وجمالاً وما إن تذكرت الدكتور المقالح حتى وجدت يدي تجوب شفاف حقيبتي لتخرج الحبر والورق وجاءني وحي القلم بأسطر حفظت ذكرى رجال الأدب والسياسة على ضفاف بنا.

وداع بصوت الشجن :

ودعنا منبع الشلال على صوت الرقصة الشعبية (البرع) بعد أن تناولنا وجبة الغداء هناك مع أهالي قرية المنبع ودعنا الشلال على إيقاع ضحكات من شاركونا يومنا ودعنا فردوس وادي بنا عند أصيل شمس تغطس خلف حضرة لامتناهية على صوت أيوب طارش :

وادي بنا ما كنت لي بخاطر
واليوم على حسي عشي وباكر .....

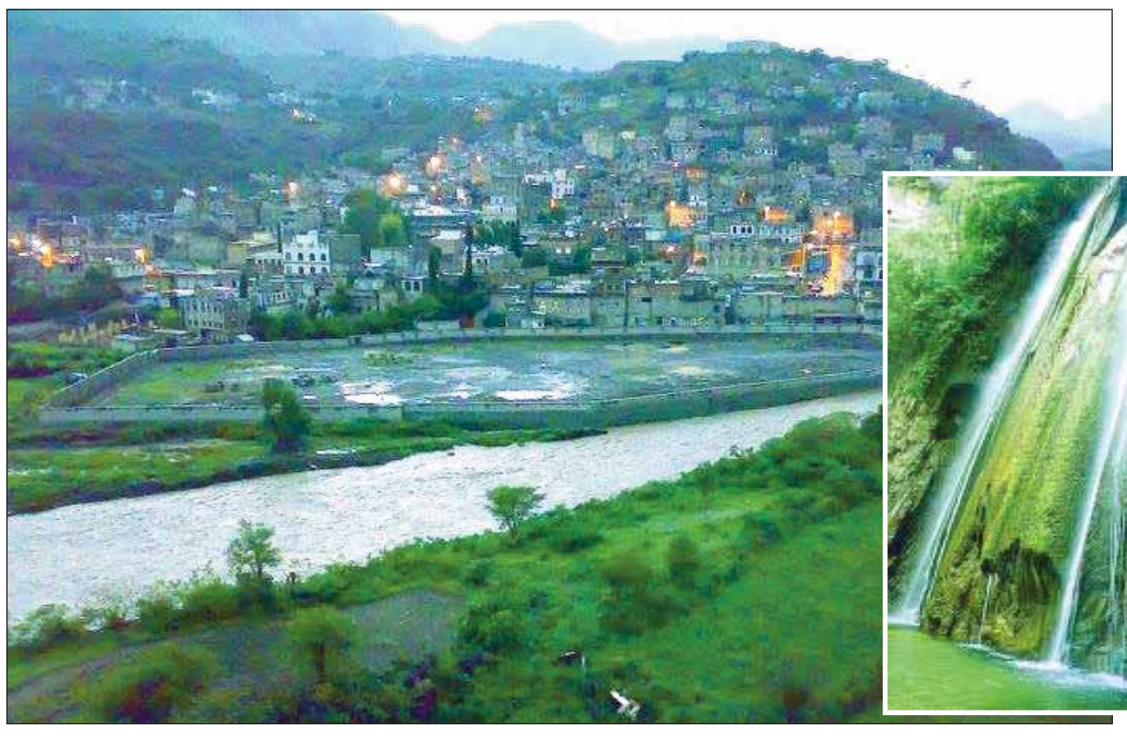

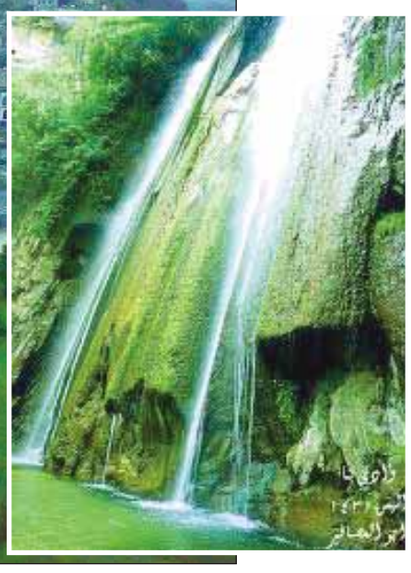

الشعر أنشودة الحرية

احتفل العالم يوم 21 مارس بيوم الشعر العالمي والذي حددته منظمة اليونسكو كيوم للاحتفال في كل عام وذلك للاحتفال ببهاء الشعر وعوالمه المحلقة بطموحات وأحلام ورؤاء الإنسان والاحتفال باللغة المرهفة النابظة بدفئ الوجدان والمشاعر.

وبهذه المناسبة وجهت أيرينا بوكوفا المدير العام لليونسكو رسالة بمناسبة اليوم العالمي للشعر وفي السطور التالية ننشر نص الرسالة.

تحتفل اليونسكو كل عام بالنساء والرجال الذين يبعثون الروح في الشعر كواحد من أرقى أشكال التعبير اللغوي والثقافي، فالشعر أنشودة حرية تؤكد الهوية بالإبداع، فضلاً عن أنه أهزوجة تصدح بها أعمق مشاعرنا، ويقول الشاعر الدبلوماسي البرازيلي جواو كابرا لدي ميلو نيتو في هذا الصدد: " الشعر هو كل كلمة تنبع من الشعور، حتى ولو لم نردها أن تكون شعراً"، وكلمات القصائد وإيقاعها تصور أحلامنا بالسلام والعدل والكرامة.والشعر يمنحنا القوة والرغبة في النضال من أجل تحقيقها.

ووضعت شعوب التاريخ كافة شكلاً من أشكال الشعر وممارسته إما لنقل معارفها وأساطيرها وقصصها شفهياً ـ مثل الفيدا ومسيرة راما في الهند، وتوراة العبريين، وملحمتي الإلياذة والأوديسا عند اليونان، والكثير من النصوص الفلسفية والدينية الأخرى ـ وإما للتعبير عن مشاعرها، أو التحدث عن حياتها اليومية ـ أو لمواجهة المحن أو للتسلية، وفي يومنا هذا، تتيح أشكال الشعر المعاصرة، بدءاً بالكتابات على الجدران وانتهاءً بالمسابقات الشعرية، فرصة للشباب حتى يمارسوا الشعر ويجددوه، وبذلك يفتح الباب المفضي إلى مساحة جديدة للإبداع، وتتطور أشكال الشعر، إلا أن النفخ الشعري يبقى على حاله.

ويصف شكسبير الشعر بأنه " هذه الموسيقى التي يحملها كل شخص في طيات ذاته," وبعد عدة قرون، يقوم مؤلف موسيقى الجاز وسفير اليونسكو للنوايا الحسنة، هيربي هانكوك، الذي عين أستاذاً للشعر لعام 2014م في جامعة هارفارد، بقراءة نصه المعنون "حكمة مايلز ديفيس" مذكراً بأوجه التقارب بين الشعر والأدب والموسيقى.

والشعر بوصفه تعبيراً عميقاً عن الفكر الإنساني، وفناً عالمياً، هو أداة للحوار وللتقارب، لأنه يتيح الاطلاع على تعبير أصيل ينتمي إلى هذه اللغة، ولأن نشر الشعر ييسر الحوار والتفاهم بين الثقافات، وللشعر دور رئيسي يتجلى كل مرة في حماس الشعوب للاحتفال بالتراث الثقافي غير المادي، وباللغة الأم والتنوع الثقافي.

ولهذا تشجع اليونسكو على دعم الكتاب والمترجمين وقارضي الشعر، وتدعو إلى ذلك، كما تحث على أن ننهل من أعمالهم الذوق الجمالي والإلهام اللازم لبناء السلام.

(إيقاعات)

عائشة عبدالله المزيجي

فجأة وجدت نفسها في حديقة غناء , اللون الأخضر فيها يستعرض شبابه . ثمارها تتبارى اشكالاً هندسية , وتفرد ألوانها تارة لوناً واحداً منفرداً وممزوجة متزاوجة تارة أخرى , يصعب على الرائي التعرف عليها .

شلالها مرتب وهو يعرف سبيله ويقدر ما تحتاجه جوانب الحديقة من دفقات ينثرها هادئة قريبة تحتضن أعالي العشب , ويلقها قوية عالية تستقبلها وتتشربها أركان ضامئة بعيدة .

لبستها الفرحة الغامرة ـ غير مندهشة ـ فبعض ما في الحديقة من جمال يسكن روحها .

فجأة فقدت تفاصيل وجهها القدرة على التعبير , ضلت الابتسامة طريقها , خفت بريق عينيها , أضاعت الفرحة الوتر المناسب صوتها الرخيم المعرف بها .

ربما لم تكمل أعمالاً كلفت بها ..... ربما تذكرت شيئاً ... ربما ما تدري ما ربما ..

هرولت تحت ظلال الحديقة الحنون , وكأن عاصفة مقبلة وراءها تقتلعها وجمال الحديقة , افترضت طريقاً أمامها عنده تنتهي الحديقة , لم تصل فطموح الحديقة واسع المدى .....

سقطت على الأرض تتسابق أنفاسها, رفعت رجاءها نحو السماء تتمتم ببعض أحرف وعلامات إ ـ ل ـ !! ـ ف

فجأة يعض جسدها أنياب الشتاء , تفتح عينيها مفزوعة وقد تخلل وجهها زخات دموع زائرة